**مقدمة**

إن مرحلة التحقق التي تعتبر المرحلة الثالثة من مراحل البحث الاجتماعي عند بيار بورديو تستوجب النزول إلى الميدان ومحاولة التحقق من الأفكار التي طرحت في الإشكالية ومن العلاقات التي بنيناها بين مختلف المتغيرات في فرضيات البحث ، وذلك عن طريق جمع البيانات أو المعطيات التي تعتبر المؤشرات الكمية أو الكيفية للمتغيرات التي تشملها فرضيات البحث عن طريق توظيف مجموعة من أدوات جمع البيانات في البحث العلمي .

جدير بالذكر أن أدوات جمع المعلومات والبيانات تتحدد عادة بطبيعة منهج والهدف من وراء الدراسة يعني من الفكرة التي ينطلق منها الباحث ونوع المعطيات التي يريد الحصول عليها كمية أو كيفية ،وهنا لزاما علين أيضا أن نعود إلى طبيعة المنهج المستخدم في البحث سواء كانت مناهج كمية أو مناهج كيفية ، وندرك جيدا أن في المنهج الكمي فان الباحث يسعى إلى البحث وجمع المعطيات الحسية وهي المؤشرات والخواص آو العلامات الخارجية للمتغيرات التي تخص الظاهرة المدروسة والتي يمكن مشاهدتها في الواقع المحسوس وتحويلها إلى معطيات كمية ، أما المنهج الكيفي فيجري التشديد على فهم الظاهرة من خلال فهم المعاني التي يضفيها الفاعلون الاجتماعيون على سلوكاتهم وأفعالهم وبالتالي إذا كانت الظاهرة هي ضرب من ضروب السلوك الاجتماعي كما يفهمها دوركايم ، فان فهم هذا السلوك لا يتأتى إلا من خلال استنباط المعاني التي تحتويها هذه السلوكات الاجتماعية كما يؤكده ماكس فيبر، ومحاولة فهمها والبحث عن الأبعاد النسقية ومؤشراتها من خلال البحث عن المعاني والأفكار الرئيسية التي تتخلل كل العناصر المكونة للظاهرة ومن ثم الوصول إلى الترابطات المنطقية بينها.

**المحاضرة الأولى**

**أدوات جمع البيانات في البحث الاجتماعي**

**تمهيد**

يشير ريمو كيفي في المرحلة الخامسة من مراحل البحث الاجتماعي [[1]](#footnote-2) إلى ثلاث طرق لجمع المعطيات :

**أولا**  الطريقة المباشرة والذي يعتمد على الملاحظة ، بحيث يقوم الباحث نفسه بجمع البيانات عن طريق الملاحظة دون اللجوء إلى الفئة المعنية بالبحث (عينة البحث ) أو مخاطبتهم ، كأن يلاحظ الباحث الذي يريد أن يفهم الفرق بين الجمهور الذي يراود المسرح والجمهور الذي يذهب إلى السينما فخاصية هده الطريقة تتمثل في أن المبحوث لا يتدخل في إنتاج المعلومة المراد الحصول عليها ويمكن أن تكون الملاحظة بالمشاركة أو بدون مشاركة .

**ثانيا** الطريقة الغير مباشرة أين يستعين الباحث بوسيطان للحصول على المعلومة : الوسيط الأول هو المبحوث وهو الشخص الذي يطلب منه الباحث أن يجيب ، والوسيط الثاني هو الأداة (الاستبيان أو المقابلة ) [[2]](#footnote-3) فالباحث هنا يعيد تركيب الأحداث استنادا إلى تصريحات وشهادات المبحوثين (مفردات العينة ) والتي يتحصل عليها من خلال أسئلة الاستبيان أو دليل المقابلة وبالتالي يساهم المبحوث في إنتاج المعلومة وهذا ما يمكن أن يؤثر على موضوعية ومصداقية المعلومة وعليه يؤكد ريمون كيفي انه على الباحث أن يكون حريصا في طريقة بناء أداة جمع البيانات واختياره لعينة بحثه .

**ثالثا** هو الحصول على المعلومة من خلال المعاينة التوثيقية أين يستند الباحث في جمعه للمعلومة على مجموعة من الوثائق سواء كانت مخططات أو كتب أو مجلات أو صحف أو معطيات سمعية أو بصرية وغالبا ما يهتم الباحثين في العلوم الاجتماعية بالوثائق حسب ريمون كيفي لأجل سببين : إما لأنهم ينوون دراستها بحد ذاتها وهذا ما يدخل في إطار تحليل المضمون أو تحليل المحتوى كان يقوم باحث بتحليل محتوى جريدة ما في إطار دراسة أو يكون السبب هو البحث عن معلومات أو إحصائيات وقراءتها قراءة نقدية .

ووفقا لما تقدم يمكن تحديد أهم أدوات جمع البيانات في العلوم الاجتماعية في ما يلي : الملاحظة ،الاستبيان ،المقابلة ،التوثيق و تحليل المحتوى .

**1 الملاحظة كأداة مباشرة في البحث**

**1-1 تعريف الملاحظة**

تعتبر الملاحظة إحدى التقنيات المنهجية المباشرة لجمع البيانات من خلال الاعتماد على حاسة البصر ويعتبرها ريمون كيفي "الوسيلة المنهجية الوحيدة التي تستطيع أن تلتقط التصرفات والأفعال وقت حدوثها دون واسطة من شهادة أو مستند"[[3]](#footnote-4) . وترتكز الملاحظة السوسيولوجية بصفة خاصة على سلوكات الفاعلين الاجتماعيين اللذين يتفاعلون فيما بينهم من خلال علاقات اجتماعية تترجم الأنماط الثقافية والايديلوجية التي تتغذى منها ، وعليه فان الباحث الاجتماعي قد يثير انتباهه ظهور سلوكات جديدة في المجتمع أو طرأ تغير على مستوى سلوكات معينة شدت الآثار التي تنجم عنها انتباهه ، وعليه تعتبر الملاحظة في نظر المختصين في المنهجية أكثر التقنيات صعوبة لأنها تعتمد على مهارة الباحث وقدرته على تحليل العلاقات الاجتماعية وأنماط السلوك الاجتماعي المراد دراستها ،حيث تمكن الباحث من اكتشاف الارتباطات والعناصر الموجودة بين العلاقات الاجتماعية التي لا يمكن فهمها إلا من خلال ملاحظتها ومعايشتها ، وهذا لن يتم بسهولة حين تكون العلاقات الاجتماعية عبارة عن بناء معقد ومركب يصعب تحليلها إلى عناصر وجزئيات [[4]](#footnote-5).

كما تعرف أيضا بأنها وسيلة لجمع البيانات في البحث لعلمي ،وتتركز في أن يقوم الباحث بملاحظة الظاهرة التي يريد دراستها وتسجيل كل ما يلاحظه بدقة وموضوعية [[5]](#footnote-6)

وهنا لابد أن نفرق بين الملاحظة البسيطة التي يقوم بها عامة الناس والملاحظة التي تتم لإغراض البحث العلمي ،فهذه الأخيرة عملٌية مقصودة ومخططة ومنظمة، ولٌيست مجرد مشاهدة عرضية لظاهرة ما تتم بمحض الصدفة، وعليه يتعين على الباحث أن يتقيد بمجموعة من الشروط المنهجية أثناء القيام بالملاحظة

**1-2 شروط الملاحظة العلمية**

هناك مجموعة من الشروط التي تضبط الملاحظة لكن سنذكر أهمها ومنها:

* ضبط حقل الملاحظة وهذا طبعا يكون وفق لأهداف المسطرة في الدراسة وفرضياتها
* تحديد زمان ومكان الملاحظة
* تدوين ما يلاحظه الباحث في الوقت المناسب ومحاولة التركيز في المشاهدة على العناصر المهمة.
* إعداد مسبق من طرف الباحث لشبكة الملاحظة التي ستسمح له بتدوين البيانات بطريقة عملية [[6]](#footnote-7)

**1-3 أنواع الملاحظة**

يتفق اغلب الباحثين أن هناك نوعان من الملاحظة:

**أ** - **الملاحظة بالمشاركة**(observation participante ) : وتسمى أيضا الملاحظة من الداخل وهي التي تستجيب بصفة عامة للانشغالات الباحث في العلوم الاجتماعية وهو نوع يستعمل كثيرا عند علماء الانتروبولوجيا وتعني أن الباحث يكون ضمن المجموعة أو الجماعة التي يدرسها ويمكث عندها مدة طويلة وذلك من خلال مشاركتهم حياتهم في كل أبعادها الاجتماعية،الثقافية والاقتصادية ويهتم الباحث بشكل خاص برصد السلوك وتكراره ،ومن مزايا الملاحظة بالمشاركة [[7]](#footnote-8):

- دقة الملاحظات وفعاليتها

- معرفة دقة وصرامة الملاحظات والفرضيات التفسيرية

**ب- الملاحظ بدون مشاركة** (observation non participante ) : والتي ٌيقوم فٌيها الباحث بملاحظة سلوكيات وتصرفات المجموعة التي هي بصدد الدراسة من الخارج كأن يلاحظ مثلا الأفراد اللذين يقبلون على المكتبات العامة وان يلاحظ الفئات العمرية والجنس والأوقات التي يكون فيها الإقبال أكثر... الخ .

من مزايا الملاحظة بدون مشاركة :

* تعطي الباحث فرصة ملاحظة السلوك الفعلي للجماعة في صورته الطبيعية.
* يكون الباحث أكثر موضوعية لأنه لا يتعاطف مع الأفراد الذين يتم ملاحظتهم

**1-1-4** **مزايا الملاحظة كأداة لجمع البيانات**

تتفرد الملاحظة عن باقي الأدوات الأخرى لجمع البيانات بمجموعة من الخصائص نلخصها فيما يلي:

* تسمح الملاحظة بتسجيل السلوك الاجتماعي في أنه كما هو مما يسمح الحصول على معلومات صريحة ومباشرة عن السلوك والأفعال التي تتم دراستها.
* توفر الملاحظة الوقت والجهد المبذول في عملية جمع البيانات أكثر من الأدوات الأخرى
* يساعد استخدام الملاحظة في الحصول على معلومات صادقة وأصيلة، حيث أنها تتم في مكان حدوث الموقف أو السلوك مما يٌؤدي إلى إبعاد أي إمكانية للتحيز مما يضفي عليها الموضوعية إذا ما تم تسجيل الملاحظات بطريقة سليمة.
* تتلاءم الملاحظة مع الأصالة والواقعية النسبية للتصرفات ،قياسا على الشهادات والوثائق المكتوبة ، فمن الأيسر على المرء أن يكذب بلسانه من أن يكذب بتصرفاته وجسده .[[8]](#footnote-9)
* يمكن من خلال الملاحظة تكوٌن الفروض واختبارها والتأكد من صحتها.

قد يتساءل الطالب بالنسبة للميزة الأخيرة للملاحظة كيف يمكن من خلال الملاحظة بناء الفرضيات فحين أن الملاحظة تعتبر أداة من أدوات التحقق من الفرضية ؟

في الحقيقة تسال العلماء عما اذا كانت الملاحظة تسبق الفرضيةاو تلحق بها واجمع رايهم ان الملاحظة نشاط يقوم به الباحث خلال مراحل بحثه كله وعلى انها سابقة على الافتراض مرافقة له ولاحقة في آن واحد .[[9]](#footnote-10)

-1-5 **عيوب أداة الملاحظة**

* عدم القدرة على تسجيل مختلف السلوكات في وقتها وهذا ما يجعل بعض التفاصيل المهمة تسقط عند التسجيل .
* مشكلة تأويل السلوكات الملاحظة وترجمتها،فشبكة الملاحظة لا تسمح دائما بتأويل كل السلوكات المشاهدة التي غالبا ما تكون كثيرة وغنية .
* إن شعور المبحوثين أنهم تحث الملاحظة قد ٌيؤدي إلى تصرفهم بشكل ٌيتسم بالتحفظ في السلوك مما يفقد البيانات التي يٌتم الحصول عليها الموضوعٌية.

1-6 شبكات الملاحظة

تعرف شبكة الملاحظة على أنها أداة وظيفتها التقاط عناصر وعمليات أو أفعال من الوضعيات الملاحظة[[10]](#footnote-11) وطبعا كلما كان الهدف من الملاحظة واضح عند الباحث كلما سهل عليه ضبط المتغيرات ومؤشرات المفهوم التي تتركز عليها الدراسة وتشمل هذه الشبكة على معطيات أساسية مثل: تاريخ الملاحظة ،مكان الملاحظة ،الموقف الملاحظ ،الظروف والملابسات التي طرأت أثناء الملاحظة وحتى يكون الباحث عملي ودقيق يجب أن يترجم تلك المؤشرات إلى فئات تشمل مجموعة من المعطيات أو الأفعال أو رموز وعلامات تشير إلى السلوكات التي يقوم بها الملاحظ أو يعتمد الباحث على مجموعة من سلاليم التقدير وتسمى كذلك سلاليم الحكم او التقييم وتتكون في صورة ألفاظ مثل "حسن ،جيد ،جيد جدا ،ممتاز "أو أعداد مثل "0-1-2-3-4 " ..الخ

1. R.Quivy,L.V.Campenhoudt,Manuel de recherche en science sociales ,Dunod,Paris ,1995,p152 [↑](#footnote-ref-2)
2. Ibid , p165 [↑](#footnote-ref-3)
3. R.Quivy,L.V.Campenhoudt, op.cit , p199 [↑](#footnote-ref-4)
4. فضيل دليو وآخرون ،أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية ،منشورات جامعة قسنطينة ، الجزائر ،1999،ص 187 [↑](#footnote-ref-5)
5. عبد الكريم غريب ،منهج وتقنيات البحث العلمي ،مقاربة ابستمواوجية،ط1،مطبعة النجاح الجديدة ،دار البيضاء ألمغرب ،1997، ص 80 [↑](#footnote-ref-6)
6. سهيل رزق دياب ،مناهج البحث العلمي ،غزة فلسطين،2003 ص 50 created with pd factory pro trialversion [www.pdfactory.com](http://www.pdfactory.com) [↑](#footnote-ref-7)
7. [↑](#footnote-ref-8)
8. *R. Quivy, L.V.Campenhoudt, op.cit, p202* [↑](#footnote-ref-9)
9. فاخر عاقل ، أسس البحث العلمي ،نقلا عن عبد الكريم غريب ،منهج وتقنيات البحث العلمي ،مقاربة ابستمولوجية،ط1،مطبعة النجاح الجديدة ،دار البيضاء ألمغرب ،1997، ص79 [↑](#footnote-ref-10)
10. عبد الكريم غريب ،مرجع سابق ،ص85 [↑](#footnote-ref-11)